الأستاذة : تاوريريت نبيلة

المحاضرة الثامنة: النقد الاجتماعي.

سنة ثانية دراسات لغوية

النقد الاجتماعي وثيق الصلة بالنقد التاريخي، لأنه ولد في رحمه، ونشأ في كنفه، وهو من النقود المهمة في الدراسات الأدبية النقدية « إذ الأدب في حقيقته إنما هو تعبير عن المجتمع وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد ومبادئ وأوضاع وأفكار، والأديب لا يسقط على مجتمعه من السماء، وإنما ينشأ فيه ويصدر عن كل ما رأى فيه وأحس وسمع، ناسجا مادته من مسموعاته وإحساساته ومرئياته»[1].

وقد ظهر النقد الاجتماعي وبدأت إرهاصاته بظهور مدام دي ستايل (1766-1817) التي أصدرت كتابها سنة 1800 تحت عنوان «الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية، وتبين من خلاله أن الأدب تعبير عن المجتمع، والأديب الحق هو الذي يعبر تعبيرا صادقا عن مجتمعه»[2]. وتواصل الناقدة الفرنسية حديثها عن النقد الاجتماعي بقولها: «إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة والظروف الاجتماعية التي أدت إلى الإبداع»[3]. وقد أثرت هاته المقولة في نشأة النقد الاجتماعي، وصحت مقولة: إن الأدب تعبير عن المجتمع.

هذا وقد ناصر هذا النقد مجموعة من العلماء منهم:

هيجل، أوجست كونت، دوركايم، جون ستوارت ميل، جورج لوكاتش، لوسيان جولدمان وغيرهم.

منطلقات النقد الاجتماعي:

المتفق عليه أن النقد الاجتماعي ينطلق من كون الأدب تعبير عن المجتمع، أي هو«مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة، وهي من خلق المجتمع. والوسائل الأدبية التقليدية، كالرمزية والعروض، اجتماعية في صميم طبيعتها، أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل الحياة، والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعية»[4].

فالنقد الاجتماعي ينطلق من كون الأدب ظاهرة اجتماعية، والأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما للمجتمع الذي يعيش فيه، لهذا فالقارئ حاضر في نفس الأديب، وهذا الأخير يصدر ضمن أفكار مجتمعه وطبقته، معبرا عن همومها وآلامها ومواقفها.

تياران للنقد الاجتماعي:

لقد عملت الماركسية على وصف نظرية الأدب، وأكد أصحابها أن الأدب انعكاس للواقع الاجتماعي، كما عمل الماركسيون إلى جانب الواقعيين على الاهتمام بالنقد

---

(1) شوقي ضيف، البحث الأدبي، دار المعارف، مصر، 1979، ص 96.

(2) ينظر، صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه، ص 95.

(3) عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ص 256.

(4) رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجم: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص 97.

الاجتماعي، وربط بنية المجتمع بالأعمال الأدبية، فما الأدب إلا انعكاس لواقع المجتمع وما يدور فيه، ونتج عن ذلك ما يسمى علم اجتماع الأدب، أو سوسولوجيا الأدب، هذا ما أسهم في ظهور تيارين في دراسة النقد الاجتماعي.

التيار الأول:

يطلق على هذا التيار (علم اجتماع الظواهر الاجتماعية) (سوسيولوجيا الأدب)، وقد استفاد «من التقنيات التحليلية التي انتظمت في مناهج الدراسات الاجتماعية مثل الإحصائيات والبيانات، وتحليل المعلومات، وتفسير الظواهر انطلاقا من قاعدة معلومات محددة، يبينها الدارس طبقا لمناهج دقيقة يستخلص منها النتائج التي تسفر عنها»[5].

إن الأدب جزء من الحركة الثقافية، لذلك فقد استفاد من كل الأمور السابقة، وهذا أبرز ما في التيار الأول الذي تزعمه «الناقد الفرنسي (سكاربير) عندما ألف كتاب (علم اجتماع الأدب) حيث درس الأدب كظاهرة إنتاجية ترتبط في آليتها وقواعدها بقوانين السوق وهي تتعلق بنشر الأدب وطباعة الكتب وانتشارها»[6].

وهذا يؤكد على أن هذا التيار يدرس الأعمال الأدبية من ناحية الكم لا من ناحية الكيف والنوع، فيختفي بذلك الجانب النوعي للأدب وتتساوى الأعمال العظيمة الفنية مع الأعمال الأخرى كالروايات المثيرة، مما مهد لظهور تيار آخر هو تيار المدرسة الجدلية.

التيار الثاني:

يعود هذا التيار وينسب إلى المدرسة الجدلية وخاصة إلى هيجل (ت1831م) الذي ربط بين تغيرات المجتمع وظهور الرواية نتيجة صعود البرجوازية، وقد بلور هاته الأفكار كارل ماركس (ت1883) الذي تكلم«عن العلاقة بين البنى التحتية والبنى الفوقية في الإنتاج الأدبي والإنتاج الثقافي، وهذه العلاقة متبادلة ومتفاعلة مما يجعلها علاقة جدلية»[7].

أما المنظر الأساسي للنقد في هذا التيار هو جورج لوكاتش (ت 1971)، الذي اعاد النظرية الماركسية، والدعوى إلى تحقيق توازن في العلاقة الجدلية القائمة بين الأدب والمجتمع، «فقد درس وحلل العلاقة بين الأدب والمجتمع باعتبار الأدب انعكاسا وتمثيلا للحياة، وقدم بعضا من الدراسات السيسيولوجية للآداب، وهو الذي يسمى (سيسيولوجيا الأجناس الأدبية) »[8].

ثم جاء لوسيان غولد مان (ت 1970م) الذي انطلق مما وصل إليه لوكاتش وطوره، وقرر إن دراسة الواقع هي التي تجعل الباحث قادرا على اكتشاف طموحات الإنسان وأفكاره في علاقته بذاته وبمجتمعه ثم في علاقته بالمجتمعات الأخرى، وهذا ما أطلق عليه مصطلح (رؤيا العالم).

---

[5] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 42.
[6] عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ص 285، 259.
[7] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 47.
[8] المرجع نفسه، ص 48.

لقد رأى (غولدمان) أن الأعمال الأدبية لا تعبر عن الأفراد، وإنما تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة، فالأدب ليس إنتاجا فرديا، فكلما كان الأديب على درجة عالية من القوة والعمق، كان تجسيده للمنظور الاجتماعي أوضح وأقوى.

كما يرى أيضا أن الأعمال الأدبية تتميز بأبنية دلالية كلية، وهذه الأبنية الدلالية تختلف من عمل لآخر، فكل عمل أدبي يتضمن رؤيا للعالم.[9]

النقد الاجتماعي في الدراسات العربية:

تأثر النقاد العرب المحدثون بالنقد الاجتماعي، كون الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد نلحظ هذا في كتابات طه حسين، مثل كتاب" ذكرى أبي العلاء"، أما في كتابه "حديث الأربعاء" في جزئيه الأول والثاني فقد طبق أصول النقد الاجتماعي وبخاصة في الجزء الأول، كما يعد تأثره بأستاذه "كارلو نلينو" وبأساتذة علم الاجتماع كابن خلدون ودوركايم.

كما نجد شوقي ضيف يروج لهذا النقد، ويؤكد على إن«الأديب لا يكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتبه لمجتمعه ... ومن اجل ذلك ينبغي إن يتخلص الأديب من كل ما هو فردي محض وإن يحقق الصلة بينه وبين أمته في كل ما يصدر عنه. بحيث يكون أدبه دعامة من دعائم حياتها بكل ما يجري فيها من الم وأمل وشقاء وسعادة»[10].

هذا ونجد بعض الكتاب العرب الذين تبنوا النقد الاجتماعي وراحوا يجسمون البؤس السياسي والاجتماعي للمجتمع العربي ويصورون آلامه، كما فعل محمد المويلحي في كتابه "حديث عيسى بن هاشم" الذي صور فيه أحوال مصر البائسة، والكاتب محمد حسين هيكل في قصته "زينب"و كذا فعل توفيق الحكيم في قصصه البديعية مثل (عودة الروح) وغيرهم[11] .كل هؤلاء تبنوا النقد الاجتماعي كما يظهر في مؤلفاتهم.

---

[9] ينظر، صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 48، 49.

[10] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط4، 1976، ص 191، 192.

[11] ينظر، المرجع نفسه، ص 196.